ولا اخذ بالوجوه فيأخذ كلٌّ حقَّهُ من سيّد او مسود من صالح او طالح دون ادنى محاباة او تحزُّب »

وهذا المعنى نفسهُ في كتب الوبدة (Védas) عند الهنود فترى مثلاً في كتاب ستاباثا برهمانا ما يلي : « انَّ الخير والشرّ اللذين يصنعهما المرء يُجعلان في ميزان فايّ منهما رجح تبعهُ المرء . فعليهِ اذن ان يكثر من الصالحات في هذا العالم ويجعلها في ميزانهِ حتَّى ينجو في العالم الآخر من هذه المحنة برجحان اعمالهِ المبرورة (١) »

ومثل هذا المعنى ايضاً عند قدماء المصريين كما يُرى في كتابهم المعروف بكتاب الموتى وعند غيرهم من الشعوب وقد اكتفينا بذكر اقوال الايرانيين والهنود لاشتقاقهما على ما يُرجَّح من آداب البابليين

عيد الصليب

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

ليس مسيحيّ يجهل ما تؤدّيهِ الكنيسة جمعاء شرقاً وغرباً من الاكرام والتبجيل لصليب فادينا فانّها لا تكاد تباشر امراً دينيًّا فلا تتلو صلاةً ولا تقيم سرًّا من اسرارها ولا تأتي عملاً مبروراً دون ان تستظلّ تحت لواء الصليب فتستمطر بركاتهِ وتستمدُّ عونهُ وتمثل صورتهُ واذا تخوَّفت نائبة او تهيَّبت معاديًا استعصمت بحبلهِ ولاذت بجاهه . وهي في كل ذلك تتعقَّب آثار الكنيسة الاوَّليَّة محافظةً على تقاليد متواترة ترقى الى عهد تلامذة المسيح ورسلهِ الاطهار

وكان النصارى في كلّ اين وآن يُراعون هذه العادة ويُلفون هذا الاكرام جريًا على سَنَن الكنيسة امّهم وذلك منذ القرون الاولى للميلاد كما يشهد على ذلك الكتبة الاوَّلون كترتليان ومينوتيوس فالكس والقديس قبريانوس واوريجانوس وغيرهم . أخبروا انَّ المسيحيين في عهدهم لم يتولَّوا امراً مهما كان زهيداً دون ان يتَّسموا بسيماء الصليب

(١) راجع مقالة العلّامة جكسون في هذا العدد (A. W. Jackson, X^e Congrès International des Orientalistes: « *Weighin the soul in a balance after death* »

وكانوا يرسمونهُ على جبهتهم ويصوّرونهُ على مداخل ابنيتهم ويشيرون اليهِ بالاشكال الرمزيَّة كالأنجر والعصاة والحرفين اليونانيَّين T و X (وهو اوَّل حرف اسم المسيح باليونانيَّة) الى غير ذلك ممَّا كان ينبّه افكار المسيحيين الى صليب المسيح واسرار آلامهِ

وكانت الكنيسة تخصّ بعض ايَّام سنتها بهذا الاكرام فتجدّد في قلوب المسيحيين ذكر آلة خلاص البشر التي اتمَّ عليها ابن الله ذبيحتهُ الدمويَّة وتُنعش في صدورهم الرغبة ليشربوا على مثالهِ كأس المرارة والاوجاع . وكانت الأيَّام السابقة لعيد الفصح مرصدةً لذلك على نوع اخصّ . ولا عجب اذ انَّ الفصح كان تذكار قيامة المسيح من القبر وقد سبق الصليبُ القيامة فما كانت الكنيسة لتنسى آلامهُ وتحتفل بقيامتهِ وقد كتب الرسول (غلاطية ٦ : ٥) : « اذا كُنَّا قد غُرسنا مع المسيح على شبه موتهِ فنكون على شبه قيامتهِ ايضاً »

*

على انَّ هذا الاكرام زاد رونقاً لمَّا خرجت الكنيسة من ظلمة الديامس وكسر نير عبوديَّتها . فصار تعظيمها للصليب يزداد يوماً فيوماً

وكأنَّ الله نفسهُ اراد ان يثبت تعبُّد المسيحيين لصليب ابنهِ المتجسّد وتوقيرهم لذلك العَلَم المقدس بآية جليلة ظهرت لقسطنطين وجنودهِ سنة ٣١٢ اذ كان سائرًا لمحاربة مكسنطيس فرأوا في رابعة النهار على مثال النور شكل الصليب مع هذه الكلمات : « بهذا الشكل تغلب » فاتخذ لجيشهِ رايةً على ذلك النمط فدخل رومية ظافرًا وكسر اصنامها وابطل عبادة طواغيتها

وكانت هذه الآية الاولى كمقدّمة آيات أُخرى عديدة جرت بواسطة الصليب المقدَّس واضرمت في قلوب المسيحيين حبًّا زائداً نحو هذا الرمز الخلاصيّ . وكانوا مع ذلك يتوقون الى اكتشاف ذلك العود الشين الذي عليهِ مات المسيح فقدَّسهُ بدمهِ الزكيّ . لكنَّ هذه الذخيرة الثمينة كانت توارت مع بقيَّة ذخائر الآلام منذ نُكبت اورشليم بتلك النكبات الهائلة التي لم تُبقِ فيها حجرًا على حجر . وكان الوثنيّون لمَّا نفوا عنها اليهود واستوطنوها سعوا ايضاً بازالة كل تذكار نصرانيّ من شأنهِ ان يعزّز دين المسيح ولذلك اهالوا على قبرهِ المقدَّس الردم والقمامة لئلَّا يطَّلع عليهِ احد فيستخرج هذه الدرَّة المكنونة من مدفنها

وبقي الامر على ذلك الى أن الهم الله ام قسطنطين الكبير القدّيسة هيلانة فسارت الى القدس الشريف واستدلّت على موضع القبر الجليل فتوفّقت الى اكتشافه . وكان عود الصليوت في جملة الكنوز الدفينة التي اسعدها الله بوجودهِ وتحقّقت صحّتهُ بقيامة ميتٍ وُضع عليهِ . وكان ذلك في اليوم ١٤ من شهر ايلول من السنة ٣٢٦ كما ورد في الرحلة المنسوبة الى القديسة سلفيا واثبت ذلك القديس اندراوس الاقريطشي والرحّالة تاودوسيوس (١ ففي ذلك اليوم رُفع الصليب المقدّس وعُرض لاوّل مرّة لسجود الشعب للتقاطر لاكرامهِ وقال في الميناون الباسيليّ : « وهذه الحفلة كانت كرمز لعيد ارتفاع الصليب »

راية قسطنطين

ثمّ شاع هذا الخبر في اربعة اقطار المعمور فاهتزّ العالم المسيحي طرباً لهذا الاكتشاف العجيب . وغت العبادة نحو الصليب المحيي لاسيّما بعد ان وُزّعت منهُ بين الكنائس قطع صغيرة كان يرسلها اسقف اورشليم للامراء والاساقفة وقد شهد على ذلك القديس كيرلس الاورشليميّ (في تعليمهِ الرابع عدد ١٠) . على انهُ لم يكن بعدُ أُقيم موسم سنويّ لتكريم عود الصليب وانّما صار هذا بعد عشر سنوات لمّا انجزت القديسة هيلانة الكنيسة العظيمة التي شيّدتها فوق قبر المسيح ودعتها « شهادة القيامة » (Μαρτύριον τῆς Ἀναστάσεως) فدعت الاساقفة من كل صوب لتدشين هذه الكنيسة البديعة الصنع فأُقيمت لذلك حفلة شائقة على عهد القديس مقاريوس الاورشليميّ بحضور عدد وافر من الاساقفة الذين وفدوا الى المدينة المقدّسة بأمر الملك قسطنطين بعد انتهاء جميع صور . وقد تمت هذه الرتب المهيبة في ١٣ ايلول من السنة ٣٣٥ وفي ذلك اليوم عُرض الصليوت الكبير المقدّس على رؤوس الاشهاد من فوق مرقى (ambon) الكنيسة فهتف الشعب باصوات التهليل صارخاً بملء فيهِ « كيرياليسون » اي « يا ربّ ارحم »

---

١) راجع S. Silviæ peregrinatio, *Gamurrini*, 108–S. Andr. Cret., *de cruce* I., c. 62 – Theodosius, *de Terra Sancta*, c. 5

فدُعي ذلك اليوم المشهور « عيد تجديد كنيسة الصليب » (τὰ ἐγκαίνια τῆς ἐκκλησίας τοῦ ἁγίου σταυροῦ) كما روى صاحب التاريخ الفصحي (١ وصار العيدان منذ ذلك يتجدَّدان في كل سنة اعني في ١٣ ايلول عيد تدشين كنيسة القيامة وفي ١٤ عيد الصليب . قال المؤلف المذكور : « ومنذ ذلك الحين بدأ عيد ظهور صليب الربّ » (ἐντεῦθεν ἤρξατο ἡ σταυροφανεία) فدعاهُ ظهور الصليب الّا انَّ الاسم الذي شاع بعد ذلك هو ارتفاع الصليب (Exaltatio crucis, ὕψωσις τοῦ σταυροῦ) وهذا الاسم ورد في الآثار الكنسيَّة القديمة . قال جاورجيوس الاسكندريّ في ترجمة القديس يوحنَّا فم الذهب انَّ « عيد ارتفاع الصليب » كان من جملة الحفلات الجارية في القسطنطينيَّة على عهد هذا القديس

لمَّا سبب هذه التسمية فلكون الاسقف كان يعرض في ذلك اليوم صورة الصليب مرفوعًا ليشاهدهُ الكلّ

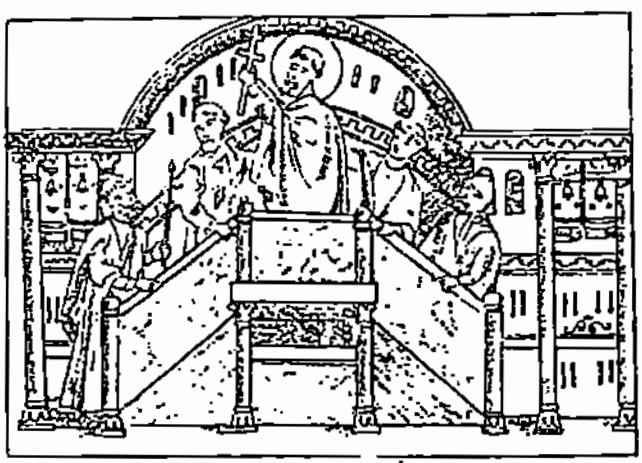

الاسقف يعرض الصليب مرفوعًا ليشاهدهُ الجمع

او دُعي بذلك بالاحرى دلالةً على المجد الذي ينال في ذلك اليوم الصليب الطاهر فيتحقَّق قول الربّ في الانجيل (يو ١٢ : ٣٢) : « وانا اذا ارتفعت عن الارض جذبتُ

١) راجع مجموع مين Chronicon Paschare, PP GG. XCII, 713-714 ثم كتاب كندار الكنيستين للاب نيلس اليسوعي Nilles, *Kalendarium manuale*, I, 275

الىَّ الجميع وانَّما قال هذا ليدلّ على أيّة ميتة كان مزمعًا ان يموتها ». وقول الرسول (فيليبي ٢ : ٨ — ٩) : « وضع نفسهُ وصار يُطيع حتَّى الموت موت الصليب فلذلك رفعهُ الله . . . »

*

ومع انَّ عيد الصليب انتشر في الكنيسة منذ ذلك العهد واُحتفل بهِ في الشرق والغرب باتفاق عجيب الَّا انهُ لم يبلغ رونقهُ الذي يرى لهُ بعد ذلك في زمن الملك هرقل ومن المعلوم انَّ كسرى انوشروان كان غزا مملكة الروم بجيش جرَّار ليطلب بدم موريقي من قاتلهِ فوقا سنة ٦١٥ فانتصر على عدَّة مدن من جملتها اورشليم فنهبها وسلب آنيتها المقدَّسة وسبى اهلها وبينهم بطريركها القديس زكريَّا. وكان الصليب المقدَّس في جملة ما اخذهُ انوشروان. وبقي الصليب في قبضة الفرس حتى قام هرقل الملك واستظهر عليهم واشترط على سيرويس بن كسرى ان يردَّ السبي ويرجع ذخيرة الصليب وكان ذلك سنة ٦٢٨ فعاد هرقل الى حاضرة ملكهِ منتصرًا وكانت الشعوب تتقاطر على ممرّهِ لتكرم الصلبوت الالهي حتى انَّ سيرهُ كان اشبه بنصر متواصل. ولمَّا وصل بهذا الكنز الى القسطنطينيَّة جرى لهُ من الاستقبال الفائق والتبجيل الشائق ما يقصر عنهُ كل لسان وكان دخولهُ الى المدينة في ١٤ ايلول اليوم المخصَّص سابقًا بحفلة ارتفاع الصليب. فكانت الخيل المطهَّمة تجرُّ العجلة الملكيَّة وهرقل جالسٌ وعلى رأسهِ تاج الملك وعلى كتفيهِ الارجوان وفي يدهِ صليبٌ من ذهب مرصَّع بالجواهر وكان دخولهُ من الباب المدعو باب الذهب. وامام عجلتهِ كان الكهنة بحللهم الفاخرة يحملون عود الصليب المقدَّس تحفُّ بهِ ٣٠٠ راية من أعلام الفرس. فاستقبلهُ البطريرك سرجيوس بكل عظمة ودعا للملك وعرض الصليب لاكرام الشعب

ولمَّا كان ربيع السنة المقبلة اجرَ هرقل الى القدس الشريف ومعهُ عود الصليب فجرت في فلسطين حفلات جديدة من مرسى يافا الى اورشليم لم يجرِ مثلها من قديم الزمن. وخرج البطريرك زكريَّا مع لفيف الكهنوت والرهبان الى مسافة بعيدة لاستقبال الوفد الملكي. ولمَّا وصل الملك الى باب المدينة نزع عنهُ بزَّتهُ الفاخرة وحمل على عاتقهِ عود الصليب الى ان بلغ بهِ كنيسة القيامة حيث سلَّمهُ للبطريرك فعرضهُ على الشعب

من مكان مرتفع فضجَّ الحضور لهذا المنظر وكانت دموع الفرح تنهمل من مآقيهم وهم يشكرون الله على وجود كنزهم المفقود

ثم بلغ الخبر كنائس الغرب فشاركت المسيحيين الشرقيين في افراحهم واحتفلت باعياد عظيمة شكرًا لله على هذه النعمة السابغة. ومِمَّن امتازوا بهذه الحفلات اهل رومية فانهم طافوا في المدينة واقاموا في كنائسها ربعًا خصوصيَّة ونصبوا المرقل تمثالًا يذكر ناظريه بما نالهُ من الشرف العظيم بازالته لكآبة الكنيسة الحادَّة على راية الخلاص منذ ١٣ سنة

*

بقي علينا ان نذكر ما خُصَّ بهِ عيد الصليب من الامتيازات التي تجعلهُ حتى يومنا هذا من المواسم الممتازة. ولنباشرنَّ بذكر الكنيسة الرومانيَّة ام الكنائس ومعلمتهنَّ فانَّ عيد ارتفاع الصليب عندها من الاعياد الممتازة وان لم تحتم على اولادها بالفراغ من الاشغال اليدويَّة. وفي صلواتها المفروضة وطقوسها ما يُشعر بانها تعتبر هذا اليوم بين الايَّام المكرَّمة. وزادت على ذلك انها خصَّت منذ القرن الثامن يوماً آخر بذكر اكتشاف الصليب وهو الثالث من ايَّار جعلتهُ في جوار عيد الفصح لتؤذن بفرحها عن وجود عَلَم الخلاص

امَّا الكنيسة اليونانيَّة فانها تعتبر هذا العيد من اكبر اعيادها. ولم تكتفِ بيوم واحد بل قدَّمت عليهِ ثلاثة ايَّام متوالية كان يُعرَض فيها الصليب المقدَّس لاكرام المسيحيين فتبتدئ باليوم العاشر من ايلول. ذلك فضلًا عن يومين آخرين تخصُّهما بالسجود للصليب وهو الاحد الثالث من الصوم الكبير. وفي ١ آب دفعًا للأمراض

وقد جاء في الرحلة النسوبة للقديسة سلفيا ما كان يجري من الحفلات في هذا النهار في كنيسة اورشليم حتى انَّ الزوَّار كانوا يأتون لحضورها من مصر والصعيد والشام وما بين النهرين وربَّما اجتمع اربعون او خمسون اسقفًا لهذا المشهد الجليل (Peregri-natio S. Sylviæ, p. 109) وكانت هذه الحفلة تتوالى اياماً. ومِمَّا تفرَّدت بهِ الكنيسة اليونانيَّة انها في يوم عيد الصليب تنهى عن اكل اللحم والبياض اكرامًا لآلام المسيح

وقد اخذت الكنيسة الارمنيَّة عن الكنيسة اليونانيَّة تعظيمها للصليب المقدَّس في

١٤ ايلول . وهي تدعوه « عيد الصليب الكبير » (*al.Sbuuy*) تمييزًا له عن حفلات أُخرى لاكرام الصليب . وهو عندهم احد الخمسة الاعياد العظيمة (*muqaddas*) التي يستعدّون لها باسبوع من الصوم ويحتفلون بطقوس العيد مدّة جمعة تامّة مباشرين هذه الحفلات في الاحد الذي يسبق ١٤ ايلول وينتهون منها في الاحد التالي . ولكل يوم رُتب خاصّة جليلة يذكرون فيها تدشين الكنيسة وآثار الصليب . وفي اليوم الرابع عشر فراغ من الاشغال اليدويّة وكذلك في غد العيد بطالة . الّا انّ بعض هذه العادات قد أُبطلت في زماننا وفي الكلندارات الكرشونيّة والسريانيّة المخطوطة المصوّرة في مكتبة الواتيكان ما يشهد على انّ الكنائس السريانيّة من كلدان وسريان وموارنة كانوا يقدّمون على عيد الصليب ثلاثة ايام للسجود له كما جرى في الكنيسة اليونانيّة (١ . امّا الكنيسة القبطيّة فانّها تعظّم ايضاً هذا العيد وهو واقع عند القبط في ١٧ من شهر توت وهم « يدورون في ذلك اليوم في كل الكنائس والهياكل والمصانع والاديرة ويرمون الصليب في البحر (اي النيل) تبرّكاً به وبمن صُلب عليه . ويتّخذون في هذا العيد الريحان واجناس الزهور » (كما ورد في كتاب الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة لابن سباع ص ١٧٠—١٧١)

ومن العادات المألوفة في مدن الشام وجبل لبنان ايقاد النيران واطلاق الاسهم النارية في الجوّ الى غير ذلك من شارات الفرح ودلائل الابتهاج . ومنهم من كان يرسم في ذلك اليوم صورة الصليب على بعض اعضائه وشماً بالنورة

اما اقاويل الآباء والخطَبة في هذا العيد كما التسابيح البيعيّة المملوّة عذوبة وتقى فلا يفي بها احصاء . فانّ الكتب الكنسيّة مشحونة بها وهي تجمع بين المعاني المبتكرة والالفاظ الرقيقة والتشبيهات البديعة . نخصّ منها بالذكر خطبة التقديس سفرونيوس التي قالها في هذا العيد . وكذلك يروى خطاب للذهبي الفم في هذا الموضوع عينه . ومن آثار الكنيسة الكلدانيّة « ترجامٌ لعيد الصليب المعظّم » غاية في البلاغة تجده في تراجيم اليًا الثالث ابي الحلم المعروف بابن الحديثي (طبعة الموصل ٢٢٩—٢٣١) وقد وقفنا في احد مجاميع العظات التي في مكتبتنا الشرقيّة (اطلب وصفنا له بين اعداد

---

١) اطلب Nilles, *Kalend. manuale.* p. 273, note 1

المخطوطات ع ٦١٠ ص ٥١٧—٥١٩) على خطبة للقديس افرام السرياني في رفع الصليب المكرَّم لم نجدها في مجموع كتاباته المطبوعة ولعلَّها مفقودة في الاصل السرياني وهي اقدم ما ورد في اعمال الآباء عن ارتفاع الصليب فاحببنا ان نختتم هذه المقالة بذكر بعض شذرات منها:

« تعالوا يا اخوتي واحبَّائي لنفرح اليوم قدَّام المسيح الهنا. تعالوا يا اخوة اليوم لنبتهج مع جنس البشر الارضيين. تعالوا لنسجد قدام صخرة الاقترانيون المقدَّسة. تعالوا نتلقَّى عود الصليب المكرَّم. لانَّ اليوم ارتفع الصليب وخلَّص العالم من الطغيان. اليوم ارتفع الصليب وهربت الشياطين. اليوم تجدَّدت الكنيسة واستنارت المقابَّة وسُلب الموت وفُضح الجحيم وتحطَّمت ابواب النحاس وفرحت قوَّات السماء. يوم فتح اللصّ باب الفردوس وأُعتق آدم ابو البشر ونُزّق الصكّ الذي كان عليه . . . برسم الصليب نصب الله فردوس النعيم في المشرق. برسم الصليب ابنع الله عين ماء في وسط الفردوس وقسمها اربعة انهار. برسم الصليب بنى هابيل مذبحاً لله واصعد عليه قرباناً مقدَّساً. برسم الصليب صنع نوح التابوت كما امرهُ الله . . . برسم الصليب بنى ملشيصادق لله مذبحاً وقدَّس عليه السميذ والشراب وبارك لابراهيم. برسم الصليب بنى ابراهيم مذبحاً لله وكتَّف ابنهُ الحبيب ورفعهُ على المذبح . . . برسم الصليب مسح موسى الابواب بدم الخروف في ارض مصر وخلَّص العبرانيين من الموت المرّ. برسم الصليب ضرب موسى بعصاته ماء النيل وقلبهُ الى دم. برسم الصليب بسط موسى يدهُ على البحر فانشقَّ ماؤهُ وجازت الامَّة على اليبس . . . برسم الصليب شقَّ موسى بعصاته الصخرة وسالت الماء الحيَّة . . . فالسلام عليك ايها الصليب الكريم انت مجد الانبياء. انت بهجة الرسل. انت قوَّة الرهبان. انت هدم عبَّاد الاصنام. انت ابو الايتام. انت عزاء الارامل. انت صائن العذارى. انت حافظ الاطفال. انت نور الذين لا نور لهم . . . السلام عليك لاجل انهُ مُلّق عليك كلمة الله الازليَّة الذي هو الابن الوحيد الذي لهُ المسيح مع الاب والروح القدس الى الابد

مطبوعات بترسبورغ جديدة

תורה נביאים וכתובים

BIBLIA HEBRAICA, adjuvantibus Beer. Buhl. Dalman, etc. etc. edidit R. Kittel. *Pars* I. x-552, 8°. 1905. *Hinrichs.*

التوراة بالعبرانية

قد بلغت طبعات التوراة العبرانيَّة عدداً لا يضمُّهُ احصاء. على انَّ هذه الطبعات مع وفرتها لم تُغنِ العلماء فائدةً تُذكر لانَّ غاية هم متولي طبعها ان يخلوا النصوص